منهج الحسن الجلال وصالح المقبلي في الصفات الإلهية

شعيب محمد علي عتيق
جامعة ملايا، shuaibatieq71@hotmail.com

مجاهد مصطفى بهجت
الجامعة الإسلامية الماليزية، mujahid@uim.edu.my

ملخص

يتضمن هذا البحث دراسة لمنهج الحسن الجلال (ت: ١٠٨٤هـ)، وصالح المقبلي (ت: ١١٠٨هـ) في الصفات الإلهية وموقفهما منها، والتي تُعد من أهم مسائل العقيدة التي تناولتها الفرق الإسلامية، مما أدى إلى اختلاف آرائهم حولها. ويهدف هذا البحث إلى إظهار أقوال الحسن الجلال والمقبلي في الصفات الإلهية، ومدى تقاربهما في المنهج الذي سلكوه تجاه الصفات الذاتية والفعلية. وقد اتبع البحث المنهج الاستقرائي للنصوص والآثار المختصة بالموضوع، وذلك بتتبع الآراء والأفكار، وكذلك استخدم المنهج المقارن الذي يوازن بين الآراء والأقوال، ويخلص البحث إلى نتائج مهمة منها: أنهم سلكوا تجاه الصفات الإلهية ثلاثة اتجاهات: الإثبات والتأويل والتفويض.

الكلمات الدالّة: الحسن الجلال (ت: ١٠٨٤هـ)، صالح المقبلي (ت: ١١٠٨هـ)، الصفات الإلهية، الصفات الذاتية والفعلية، المنهج المقارن

The Methodology of al-Ḥasan al-Jalāl and Ṣāliḥ al-Maqbili in Allah's Divine Attributes

Abstract

This research studies the methodology of Imam al-Hasan al-Jalal (1084H) and Imam Salih al-Maqbili (1108H) on Allah's divine attributes and their opinions about. As one of the most important issues in Islamic doctrine, it has been well discussed by Islamic sects resulting in different opinions. The research aims to show the similarities and differences between the two Imams' discussion of Allah's autonomic and actual divine attributes. This research follows closely the reading of the two relevant texts as well the comparative approach between the two scholars. It concludes that both Imams have approved, interpreted or accepted Allah's divine attributes as they are.

Keywords: *al-Ḥasan al-Jalāl (1084), Ṣāliḥ al-Maqbili (1108H), divine attributes, autonomic and actual, comparative approach*

المقدمة

يُعد الإمامان الحسن بن أحمد بن محمد بن علي بن الجلال الذي ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، (ت ١٠٨٤هـ) وصالح بن مهدي بن علي بن عبد الله المقبلي (ت ١١٠٨هـ) من أئمة اليمن المجتهدين المبرزين في القرن الحادي عشر الهجري، وكان لهما الأثر الكبير في التجديد الفكري والإصلاحي لمن أتى بعدهم، كأمثال ابن الأمير الصنعاني (ت: ١١٩٢هـ)، وشيخ الإسلام الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ).

وهما من زعماء حركة الإصلاح والتجديد في المجتمع اليمني، وقد تحلّيا بروح الإنصاف، وخدما العلم بمؤلفاتهم المختلفة في الأصول، والأحكام والعلوم الإسلامية الأخرى، وأسهما في تجديد الفكر الإسلامي وإزالة ما علق به من شوائب الغلو والتقصير والجمود والتعصب، وبذلا جهوداً علمية مخلصة من أجل تجاوز ما يبعث على الخلاف والفرقة والتمزق في المجتمع الإسلامي. وقد تناولا في مؤلفاتهم معظم مسائل العقيدة، وناقشوا بعض الفرق الإسلامية، وكان أهم ما تناولاه مسائل الصفات الإلهية التي نحاول أن نقرب منهجهم وموقفهم منها. وجاء البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، على النحو الآتي: المبحث الأول: موقف الحسن الجلال والمقبلي من الصفات الإلهية عامة، والثاني: منهجهما في الصفات الإلهية الذاتية، والثالث: منهجهما في الصفات الإلهية الفعلية.

وقبل أن نتناول منهج الجلال والمقبلي في الصفات الإلهية، نعرف الصفات لغة واصطلاحاً بتعريف موجز.

أولاً: تعريف الصفة لغةً

يقال: وصف الشيء يصفه وصفاً أي نعته. والصفة أصلها وصف. قال ابن فارس: "وصف"، الواو والصاد والفاء، أصل واحد، هو تحلية الشيء، ووصفته أصفه وصفاً. والصفة: الأمارة اللازمة للشيء[(١)].

(١) ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة**، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٩م. ١١٥/٦.

وقال ابن منظور: "وصف الشيء له وعليه إذا حلّاه، وقيل: الوصف المصدر، والصفة الحلية. قال الليث: الوصف وصفك الشيء بحِليته ونعته وتواصفُوا الشيء من الوصف"(٢). قال المناوي: الصفة لغةً: النّعت(٣).

ثانياً: تعريف الصفة اصطلاحاً

قال الجُرجاني: "الوصف عبارة عما دلّ على الذات باعتبار معنى هو المقصود من جوهر حروفه أي يدل على الذات بصفة كأحمر فإنه بجوهر حروفه يدل على معنى مقصود وهو الحمرة، فالوصف والصفة مصدران كالوعد والعدة، والمتكلمون فرقوا بينهما فقالوا: الوصف يقوم بالواصف والصفة تقوم بالموصوف، وقيل الوصف هو القائم بالفاعل"(٤). وقال المناوي: "والصفة عرفاً: الاسم الدال على بعض أحوال الذات، نحو طويل وقصير وعاقل وأحمق وغيرها"(٥).

تقسيم الصفات الإلهية: للعلماء طرق مختلفة في تقسيم الصفات الإلهية، فالسلف يقسمون الصفات الإلهية إلى صفات ذاتية وصفات فعلية، ويتفق معهم الكلابية(٦) وقدماء الأشاعرة في طريقة تقسيمهم للصفات

فالصفات الذاتية هي: ما يوصف الله بها ولا يوصف بضدها نحو القدرة والعزة والعظمة وغيرها(٧)، وهي الصفات الأزلية الثابتة لله تعالى التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها، وهي لا تنفك عنه سبحانه.

---

(٢) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة وصف، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، ٣٥٦/٩.

(٣) المناوي: **التوقيف على مهمات التعاريف**، ت: د. محمد رضوان الداية، بيروت، دمشق، دار الفكر، ط١، ١٤١٠هـ، ص٤٥٨.

(٤) علي بن محمد الجرجاني: **التعريفات**، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، ص٣٢٦.

(٥) المناوي: **التعاريف على مهمات التعاريف**، ص٤٥٨.

(٦) الكلابية: أصحاب أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كُلاب القطان البصري (ت: ٢٤٠هـ) أحد المتكلمين في أيام المأمون.

(٧) الجرجاني: **التعريفات** ص١٧٥.

والصفات الفعلية هي: ما يجوز أن يوصف الله بضده كالرضا والرحمة والسخط والغضب ونحوها[٨]، وهي التي تتعلق بمشيئته، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها، أو التي تنفك عن الذات.

وجمهور الأشاعرة من المتأخرين والماتريدية يقسمون الصفات إلى أربعة أقسام[٩]:

١- الصفة النفسية: صفة ثبوتية يدل الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد عليها. وهي الوجود.

٢- الصفات السلبية: ويقصد بها الصفات التي تنفي عن الله تعالى ما لا يليق بجلالة، كالقدم، والبقاء، والوحدانية.

٣- صفات المعاني: وهي ما دل على معنى وجودي قائم بالذات، وهي الصفات السبع: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، وتسمى بالصفات الثبوتية.

٤- الصفات المعنوية: وهي الأحكام الثابتة للموصوف بها معللة بعلل قائمة بالموصوف وهي كونه (حياً، عليماً، قديراً، مريداً، سميعاً، بصيراً، متكلماً).

المبحث الأول: موقف الحسن الجلال والمقبلي من الصفات الإلهية عامة

موضوع الصفات من أهم الموضوعات الكلامية وأكثرها اختلافاً، وتتنازع الآراء فيها بين الفرق المختلفة من مثبتين ونفاة، وتتعدد أقوالهم فيها، وصفات الله تعالى كلها عليا، فهي صفات كمال ومدح، ليس فيها نقص بوجه من الوجوه، كما قال تعالى: **{وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ}** [النحل: ٦٠]، ونتناول هنا منهج الجلال والمقبلي وموقفهم في الصفات الإلهية.

---

(٨) الجرجاني: **المصدر السابق** ص١٧٥.

(٩) الجويني: **الشامل في أصول الدين**، حققه وقدمه د.علي سامي النشار وآخرون، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٦٩م، ص٣٠٨، والصاوي: **الحاشية على الخرده** ص٥٩، ومحمد التميمي: **الصفات الإلهية**، الرياض، أضواء السلف، ط١، ٢٠٠٢م، ص٧٩-٨٢.

أولاً: موقف الحسن الجلال

لقد ذهب الحسن الجلال إلى أن نفي مطلق صفات الله تعالى كفر، كنفي صفة العلم، والقدرة، والحياة جملة لا نفي كيفيتها التي عينها أهل الكلام، مثل كونها معنى أو غير معنى، زائد على الذات أو غير زائد، فإن ذلك مما لم يتعرض الشرع لذكره، فضلاً عن أن يكون معلوماً من ضرورته، بخلاف نفي مطلق تلك الصفات، فإنه رد لآيات قرآنية كثيرة، كما أن التشبيه رد لقوله تعالى: {**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**} [الشورى: ١١][١٠].

ومنع الجلال قياس ذات الله تعالى أو صفاته على ذات غيره، أو صفات غيره، لعدم استقلال العقل بإدراك عللها، أو لعدم مشاركة الفرع للأصل في علة حكمه، وإلا لزم التشبيه، ونص على "أن صفات العبد نقيض صفات الرب، وإنما فيض كرمه تعالى أكسب عبده منها شيئاً لا يُعد العبد فيه مشاركاً، كما ثبت في الصحيح عن الخضر υ أنه قال لموسى υ وقد رأى طيراً يشرب من البحر: (ما مقدار علمي وعلمك وعلم جميع الخلائق في جنب الله تعالى، إلا كما أخذه منقار هذا الطائر من البحر)[١١]، وهذا تمثيلٌ، وإلا فقد ثبت عن السلف رحمهم الله أن نسبة علم المخلوقين إلى علم الله كنسبة لا شيء في جنب مالا نهاية له... "[١٢].

ويقرر الجلال أن المخلوق وصف بصفات مما وصف بها الخالق، كصفة العلم والقدرة والعزة وغيرها، ولا يلزم أن صفة المخلوق تساوي صفة الخالق، فعلم المخلوق أو قدرته أو عزته لا تساوي علم الله أو قدرته أو عزته[١٣].

وقد ذكر الجلال أقوال المختلفين في إثبات صفات الذات وعزاها إلى القائلين بها، وهي كالآتي:

القول الأول: نفي صفات الذات مطلقاً، وهو قول الباطنية.

القول الثاني: إثباتها لمعانٍ قديمة قائمة بذات الله تعالى، وهو قول الأشاعرة، والكرامية.

---

(١٠) انظر: أحمد عبد العزيز المليكي: **الحسن الجلال حياته وفكره**، من اصدارات جامعة صنعاء، ط١، ٢٠٠٥م، ص٢٥٣.

(١١) أخرجه البخاري في صحيحه بحديث طويل باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، ولفظه "... يَا مُوسَى مَا نَقَّصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَّصَ هَذَا العُصْفُورُ بِمِنْقَارِهِ مِنَ البَحْرِ... "، حديث رقم ٣٤٠١، ومسلم في صحيحه، باب فضائل الخضر عليه السلام، حديث رقم ٢٣٨٠.

(١٢) الجلال: **فيض الشعاع، الكاشف للقناع عن أركان الابتداع**: تحقيق الدكتور حسين العمري، نشر ضمن كتاب العلامة الحسن الجلال حياته وآثاره – دراسة نصوص محققة، بيروت ودمشق، دار الفكر، ط١، ٢٠٠٠م، ص١٧٢، ١٧٣.

(١٣) انظر: المليكي، **الجلال حياته وفكره** ص٢٥٤.

القول الثالث: إثباتها لمعانٍ لا توصف بالحدوث ولا القدم ولا الوجود ولا العدم، وهو قول الكُلابية.

القول الرابع: إثباتها لمعانٍ محدثة يحدثها سبحانه وتعالى لنفسه، وذلك في صفة العلم ونحوها.

القول الخامس: إثباتها مزايا وجودية غير مستقلة مقتضاة عن الصفة الأخص كما يقول البهشمية[١٤] ومن تبعهم، أو عن الذات نفسها كما يقول البعلوية[١٥] ومن تبعهم.

القول السادس: إثباتها مزايا اعتبارية فقط في غير صفة الوجود، وأما هي فالموجود نفسه، وهو قول أبي الحسن محمد بن علي البصري[١٦] ومن معه.

القول السابع: إثباتها لعدم صفة النقص، فعالم ثبت لكونه غير جاهل، وقادر ثبت لكونه غير عاجز، وكذا سائرها، وهو قول برغوث أبي عبد الله محمد ابن عيسى الجهمي[١٧] وغيره.

القول الثامن: إنها الذات نفسها، وهو قول قدماء أهل البيت وبعض المتأخرين.

القول التاسع: إنها مجرد تعبير عما لا يُعلم كنهه، وهو قول زين العابدين علي بن الحسين بن علي[١٨] ومن معه.

واختار الجلال القول التاسع ومال إليه، إذ رأى أنه قطع لذريعة الخوض في الصفات تعمقاً.

وحث الجلال على تأويل كثير من الصفات الإلهية التي توهم التشبيه والتجسيم أو نحوها، سواء كانت صفات ذاتية أو فعلية[١٩].

---

(١٤) أصحاب أبي هاشم عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي (ت: ٣٢١هـ)، عالم بالكلام، من كبار المعتزلة ورئيس معتزلة البصرة بعد أبيه. وسميت فرقته البهشمية نسبة إلى كنيته أبي هاشم. [انظر: الأنساب للإمام السمعاني ٤٢١/١، ووفيات الأعيان ١٨٣/٣].

(١٥) أصحاب أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي (ت: ٣٠٢هـ)، أحد أئمة المعتزلة، إماماً في علم الكلام، وعنه أخذ أبو الحسن الأشعري، وله مع شيخه مناظرة مشهورة. [انظر: وفيات الأعيان ٢٦٧/٤].

(١٦) أبو الحسن محمد بن علي البصري (ت: ٤٦٣هـ).

(١٧) أبو عبد الله محمد ابن عيسى الجهمي (ت: ٢٤٠هـ).

(١٨) زين العابدين علي بن الحسين بن علي (ت: ٩٤هـ).

(١٩) انظر: الجلال: **فيض الشعاع** ص١٤٩.

ثانياً: موقف المقبلي

رفض المقبلي نفي الصفات جملةً وتفصيلا، وعده كفراً، حيث قال: "... يكفر من نفى أن يكون الله قادراً عالماً بالمعنى اللغوي"(٢٠). وقال: "نفي الصفات لا يقول به مسلم، فلا ينبغي أن يُنقل عن مسلم، إذ نفيها صريح الكفر لا بدعة، وبيانه أنه لا يقول مسلم: إن الله تعالى لا يعلم، أو لا يقدر على إيجاد الممكنات وإعدامها ونحو ذلك، وهذا هو المراد بإثبات الصفات له، وهو الذي اقتصر عليه السلف الصالح تبعاً لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ"(٢١).

وذكر المقبلي موقفه من الصفات جملة، فبين أن مذهبه فيها هو مذهب السلف الصالح، وأنه يجب حمل الصفات الإلهية على حقائق الألفاظ دون النظر في ماهيتها، فقال: "أما الصفات ومنها مسألة متكلم، فمذهبي مذهب السلف الأول، فقد علمت مدلول عالم، وقادر، ومتكلم مثلاً لغة، وأطلق الألفاظ كما وردت، وأرى ذلك مخاطرة تنافي الورع"(٢٢).

وقال في حمل الصفات الإلهية على الحقيقة: "الواجب حمل الصفات الربانية على حقائق الألفاظ، والذين تكلفوا النظر في ماهية الصفات نفوها في آخر أمرهم"(٢٣).

وبيّن المقبلي أن من منهج السلف الصالح الاكتفاء بالمدلول اللغوي، فقال: "وقد اكتفى السلف الصالح بالمدلول اللغوي، وجروا –في أسمائه تعالى– عليه، ولم يخطر ببالهم استحالته، فلا مانع من الحقيقة عقلاً لا شرعاً"(٢٤).

ورأى أن الكلام في ماهية الصفات بدعة محضة، "وأن معنى القادر من يتمكن من التأثير على جهة الاختيار، ومعنى عالم من يدرك الحقائق كما هي، ومعنى مريد من يتمكن من إيقاع الأثر على وجه دون وجه، وكذلك سائر الصفات، إنما تعلم بخاصيتها؛ أما حقيقتها فلم يثبت إليها طريق شرعي ولا عقلي، وسكت عنها من أكمل لنا ديننا في عصر

(٢٠) انظر: المقبلي: **الأبحاث المسددة في فنون متعددة**، عناية الوليد عبد الرحمن الربيعي، صنعاء، مكتبة الجيل الجديد، ط١، ٢٠٠٧م، ص٥٤٦.

(٢١) انظر: المقبلي: **العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ**، بيروت، دار الحديث للطباعة والنشر، ط٢، ١٤٠٥هـ، ص ٤٦٠.

(٢٢) انظر: المقبلي، **العلم الشامخ والأرواح النوافخ** ص ٣٤٥.

(٢٣) انظر: المليكي، **المقبلي حياته وفكره** ص١٥٧.

(٢٤) انظر: المقبلي، **العلم الشامخ والأرواح النوافخ** ص٨٣، ٨٦.

نبينا محمد ﷺ من غير نسيان، وكان الفحص عنها بدعة محرمة بلا ريب، وليس النظر فيها كالنظر في سائر المخلوقات التي إن نظر فيها من الجهة المؤدية إلى العلم بالله وبصفاته كانت عبادة"[٢٥].

ومن خلال كلام المقبلي الأكثر تفصيلاً حول الصفات الإلهية، نجده سلك تجاهها ثلاثة مذاهب: الإثبات، والتفويض، والتأويل، فقال: "والحق أن يُكتفى بما وصف الله به نفسه إما مطلقاً: كخالق، وعالم، وقادر، وإما مع السكوت: كفوقهم[٢٦]، و**{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}** [طه: ٥]، وخلق آدم على صورته[٢٧]، مع القطع بأن معناها لا ينافي صفات الكمال، بل هي من جملة الممادح، ولا يضرنا تجويز أنها حقائق أو مجازات، لأن الحكم بالحقيقة والمجاز مترتب على عقلية المعنى، وقد قلنا: لا ندري ما معناها؟ وإما مع اعتقاد المجاز، ك**{تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا}** [القمر: ١٤]، و**{يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ}** [المائدة: ٦٤]، **{علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ}** [الزمر: ٥٦]، ونحو ذلك، وهذان قسمان، والقسم الثالث: مثل: رحيم، ونور، وصبور، ولا أحد أغير من الله، ونحو ذلك مما هو من صفات كماله، والظاهر الحقيقة، ومن نفاها فالدعوى كون العارض جزء مدلولها بغير دليل"[٢٨].

المبحث الثاني: منهجهما في الصفات الإلهية الذاتية

بعد العرض الموجز لمنهج الجلال والمقبلي في الإيمان بصفات الله عز وجل عامة، وموقفهم منها، فإني سأذكر أقوالهم وآراءهم في بعض من الصفات الذاتية والفعلية[٢٩] التي تناولها الجلال والمقبلي ووردت في مؤلفاتهم. ومن ثمّ بيان مدى اتفاقهم أو اختلافهم في ذلك.

---

(٢٥) انظر: المقبلي، **العلم الشامخ والأرواح النوافخ** ص٨٠، ٨١، ٢٧٩.

(٢٦) الواردة في قوله تعالى: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} [الأنعام: ١٨، ٦١]، وفي قوله: {يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ} [النحل: ٥٠].

(٢٧) من حديث أبي هريرة، صحيح البخاري – كتاب الاستئذان، باب بدء السلام – حديث: ٦٢٢٧، وصحيح مسلم – كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير – حديث: ٢٨٤١.

(٢٨) انظر: المقبلي، **العلم الشامخ والأرواح النوافخ** ص٩٥.

(٢٩) الصفات الذاتية والفعلية ورد ذكرها في الكتاب والسنة، واختلف أهل العلم في آيات وأحاديث الصفات، قال الإمام النووي رحمه الله: "اعلم أن لأهل العلم في أحاديث الصفات وآيات الصفات قولين: أحدهما: وهو مذهب معظم السلف أو كلهم أنه لا يتكلم في معناها، بل يقولون: يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته مع اعتقادنا الجازم أن الله تعالى ليس كمثله شيء، وأنه منزه عن التجسم والانتقال والتحيز في جهة وعن سائر صفات المخلوق، وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين، واختاره جماعة من محققيهم وهو أسلم. والقول الثاني: وهو مذهب معظم المتكلمين أنها تتأول

صفة العلم والقدرة:

صفة العلم والقدرة من صفات الذات الثابتة بالكتاب والسنة، وهي من الصفات التي دل عليها السمع والعقل؛ ودليل ذلك قوله تعالى: **{لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً}** [الطلاق: ١٢]، وقول الرسول ﷺ: "اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم،... " الحديث(٣٠).

وقد بيّن الجلال بما قد تقرر بالأدلة من الكتاب والسنة "بإن صفة "العلم والقدرة" واجبان لذاته تعالى بالقوة، وأما بالفعل فهما متابعان للمعلوم والمقدور: في الوجوب كما في علم الله ذاته وصفاته، وفي الحدوث كما في تعلق علمه وقدرته بالحوادث".

وقرر أن هذا القول يُخلِص من الوقوع في إشكال إثبات الذوات في الأزل الذي يلزمه قدم العالم، أو في إشكال أن الأمر أُنف الذي يلزم أن الله سبحانه ليس بعالِم قبل حدوث المعلوم، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً. ورأى أن القول "بأن (العلم والقدرة معنيان قديمان)، يردُ عليه أنهما إن وجبا لذاتيهما لزم تعدد الواجب لذاته، وإن وجبا لموجب هو الذات لزم حدوثهما، وكون الذات قبل حدوثهما غير متصفةٍ بهما لضرورة تقدم العلة على المعلول"(٣١).

وقرر أيضاً أن صفات الإدراك من السمع والبصر، وصفة الحياة، وصفة الكلام، ترجعُ إلى العلم، فقال: "وإلى العلم ترجعُ صفات الإدراك من السمع والبصر وفاقاً لأبي الحسن الأشعري، فإنه يرى أن السمع والبصر علم، ولا سيما في حق الله تعالى، فإن إحاطة علمه ليست بالحواس الباطنة ولا الظاهرة؛ بل بذاته المقدسة..."، ونصّ على أن معنى سميع بصير: "حيٌ لا آفة به، بحيث يصح منه إدراك المسموع والمبصر إذا وجدا"، "وكذا يرجع إلى

على ما يليق بها على حسب مواقعها، وإنما يسوغ تأويلها لمن كان من أهله بأن يكون عارفا بلسان العرب وقواعد الأصول والفروع". [انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ، ١٩/٣].

(٣٠) صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ} [الأنعام: ٦٥]، حديث رقم: (٧٣٩٠).

(٣١) انظر: الجلال، **العصمة من الضلال**: نشر ضمن النصوص المحققة للعمري والجرافي في كتاب العلامة الحسن الجلال حياته وآثاره – دراسة نصوص محققة، بيروت ودمشق، دار الفكر، ط١، ٢٠٠٠م، ص١٠٢، ١٠٣، والمليكي: **الجلال حياته وفكره** ص٢٥٧.

العلم صفة الحياة، لأنها عبارة عما لا يصلحُ الإدراك إلا معه؛ فلذلك جعلوها شرطاً للعلم والقدرة"، إلا أنه خالف الذين جعلوها شرطاً للعلم والقدرة معللاً ذلك "بأن الشرط واجب التقدم، ولو تقدمت الحياة العلم والقدرة كانا حادثين، فوجب أن تكون الحياة عبارة عن صِحة إدراك الذات للمدركات، ولم نُرجعها إلى القدرة، لظهور أن للقدرة تعلقاً مؤثراً للصور الحسية، ولا كذلك الحياة والعلم"[٣٢].

أما المقبلي فبين أن علم الله سبحانه وتعالى محيط بكل شيء، فقال: "فقد عُلم من ضرورة الدين أن الله قد أحاط بكل شيء علما، وشهدت العقول بذلك بما في العالم من دقائق الصنع، ولطائف الحكمة، وعجائب الملكوت"[٣٣].

وذكر أن من متعلقات العلم التقدير للأشياء، فقال: "وإن من متعلقات علمه تعالى تقديره الأشياء وكتبها وجفوف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة"، "والعلم سابق لذلك كله، كما ترجم البخاري –رحمه الله تعالى– باب جفوف[٣٤] القلم على علم الله تعالى، بل جاء ذلك تصريحاً في حديث الصادق المصدوق ﷺ: (إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة، فألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضل، فلذلك أقول: جف القلم على علم الله)[٣٥]، ولا شك أن تقدير الله سبحانه وكتبه مطابق لعلمه الأزلي، لأن العلم تابع للمعلوم"[٣٦].

وأنكر وردّ على بعض المتكلمين الذين يقولون بعدم إحاطة علم الله الأزلي، فقال: "وهؤلاء قد بلغوا من الخطأ الفاحش ما قصر عنه الفلاسفة، وقريب من هؤلاء من أنكر علمه تعالى بالجزئيات، وهم الفلاسفة وشذوذ من المتكلمين الذين أعجبهم بحث الفلاسفة،

---

(٣٢) انظر: الجلال، **المصدر السابق** ص١٠٣، **والجلال حياته وفكره** ص٢٥٨، نقلاً عن مخطوطة حاشية شرح القلائد للجلال.

(٣٣) انظر: المقبلي، **العلم الشامخ** ص١٨١.

(٣٤) في صحيح البخاري: "باب: جفَّ القلم على علم الله"

(٣٥) أخرجه الترمذي في **الجامع الصحيح**، أبواب الإيمان عن رسول الله ﷺ، حديث رقم ٢٦٤٢، وقال: "هذا حديث حسن، والحاكم في **المستدرك على الصحيحين**: حديث رقم ٨٣، والطبراني في **مسند الشاميين**: حديث رقم ٥٣٢، ابن حبان **في صحيحه**: حديث رقم ٦١٦٩، البيهقي في **السنن الكبرى**: حديث رقم ١٧٧١٠. وصححه الذهبي.

(٣٦) انظر: المقبلي، **العلم الشامخ** ص١٨١–١٨٣.

وروجوا لهم وآثروا علمهم، وسموهم الحكماء، فوقعوا في هذه العظيمة، ولا يرتاب من وقر الإيمان في قلبه وصدق الله ورسوله في بطلان كلامهم..."[٣٧].

وأثبت المقبلي صفة القدرة مكتفياً بمدلولها اللغوي، وعاب على المتكلمين غلوهم في التنفير عما وراء ذلك، حيث قال: "واعلم أولا أن معنى القدرة وما يتصرف منها آيل إلى ما يجده الإنسان من نفسه من التمكن المستمر، وهذا هو المدلول اللغوي، والذي لا يصعب فهمه على كل عاقل، وهكذا هو في مطلق القادر، وهو مقتضى قولنا في صفات الباري تعالى كما هو مذهب السلف"[٣٨].

و بهذا أثبت صفة العلم والقدرة، فقال عند تفسير قوله تعالى: **{لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً}** [الطلاق: ١٢]، "أي لتستدلوا على سعة قدرته وعلمه، وإحاطتهما بالأشياء، لأن حال كل مخلوق يدل على القدرة عليه والعلم به، لأنهما مقدمتا الوجود"[٣٩].

ومما سبق يتبين لنا اتفاق الجلال والمقبلي في إثبات صفتي "العلم والقدرة"، وأن علم الله تعالى قد أحاط بالأشياء، وقدرته عليها، وتقديره لها، فلا يصح أن يقدر وقوع غير ما قد علمه، لأن علمه عز وجل سابق أزلي.

صفة الكلام:

صفة الكلام صفة ثابتة لله تعالى سمعاً وعقلاً، وهي من أكثر الصفات التي وقع فيها النزاع والجدل.

ذهب الجلال إلى أن صفة الكلام صفة ذات، وأنه نوع من العلم الذي هو الذات، معللاً ذلك بأن الكلام خبر، والخبر تصديق أو إنشاء، والإنشاء تصور، والعلم ليس إلا تصديق أو تصور. ولم يطيل في مناقشة هذه المسألة لأنه رأى أنها: "أصل افتراق الأمة"،

---

(٣٧) انظر: المقبلي، **العلم الشامخ** ص١٨١.

(٣٨) انظر: المقبلي: **نجاح الطالب لمختصر المنتهى لابن الحاجب**، تحقيق: محمد صبحي الحلاق، مصر، دار البدر، ط١، ٢٠٠٩م، ص١٧٥، ١٧٦.

(٣٩) انظر: المقبلي: **الإتحاف لطلبة الكشاف**، مخطوط، بخط يحيى بن رزق بن أحمد السنهاري، ١٣٧٧هـ، المكتبة الشرقية رقم ٩٨/١ تفسير، الجامع الكبير بصنعاء، ق: ٤٧٦.

و"أن النزاع الذي وقع في أن كلام الله "فعل" كما هو رأي من يقول: بخلق القرآن، أو "صفة" كما هو رأي من يقول: هو نوع من العلم"(٤٠).

وبين أن هذه المسألة هي: "أصل افتراق الأمة، وحق المؤمن هو الإيمان بالله وما يجب عليه، وما يمتنع عليه على حد ما هو في علم الله تعالى، وهذه طريقة السلف الصالح"(٤١).

أما المقبلي: فقد أثبت صفة الكلام على المعنى المعقول لغةً، حيث قال: "اللهم إني أشهد أنك متكلم على المعنى المعقول لغةً، وكذلك سائر الصفات، وأبرأُ إليك من الإلحاد في صفاتك وأسمائك"(٤٢).

وقال في تبيين (مسألة متكلم): "وما حاصل الحق فيها إلا أن مدلول متكلم في اللغة أجلى من ابن جلا، وقد جاء وصفه تعالى بذلك سمعاً كما جاء وصفه بسميع وبصير، وغيرهما، فآمنا بذلك على ظاهره، فإنه كمال ومدح، وأما تكييف الصفة فقد كررنا الكلام فيه أنه بدعة عظيمة"(٤٣)، وقال في موضع آخر: "فالله سبحانه متكلم حقيقة عند جميع الناس، فالسلف قنعوا بذلك، والمتكلمون نظروا في كيفيته فاختلفوا..." (٤٤).

وبناءً على ما سبق فإن الجلال والمقبلي اتفقا في إثبات صفة الكلام.

صفة الوجه:

صفة الوجه من صفات الذات التي اختلف في إثباتها وتأويلها، وقد وردت في قوله تعالى: **{وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}** [الرحمن: ٢٧]، وقوله تعالى: **{كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ}** [القصص: ٨٨]، وغيرها من الأحاديث.

---

(٤٠) انظر: الجلال، **العصمة عن الضلال** ص١٠٣، ١٠٥، **والجلال حياته وفكره** ص٢٥٨.

(٤١) انظر: الجلال: **نظام الفصول شرح الفصول اللؤلؤية**: تحقيق: أحمد علي نور الدين، صنعاء، مركز التراث والبحوث اليمني، ٩٠/١.

(٤٢) انظر: المقبلي، **نجاح الطالب لمختصر المنتهى لابن الحاجب** ص١٨٣.

(٤٣) انظر: المقبلي، **العلم الشامخ والأرواح النوافخ** ص٣٩٣.

(٤٤) انظر: المقبلي، **المصدر السابق** ص٨٨.

وقد أوَّل الجلال هذه الصفة، فقال: "وقوله تعالى: **{وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ}**، أنه عبارة عن الجملة، وأنه كناية عن الإقبال والرضى المستلزمين للرحمة"(٤٥). والجلال بهذا خالف القائلين أن الوجه هنا عبارة عن ذاته سبحانه وتعالى.

أما المقبلي فلم يتعرض لذكرها، ولم أقف على تصريح له بإثبات صفة الوجه لله تعالى، ولعلها من الصفات التي توقف عنها، أو ذهب إلى تفويضها، لأنه في الصفات الذاتية الخبرية لم يتطرق إلا لصفة "اليد" كما سيأتي، وأن منهجه فيها كما سبق ذكره أنه لا يكيف الصفات، ويحملها على الظاهر، ويفهمها من حيث مدلولها اللغوي.

صفة اليد:

لقد جاءت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة بذكرها، وهي من الصفات الذاتية الخبرية، وقد اختُلف في إثباتها وتأويلها.

وقد أوَّل الجلال صفة اليد، في قوله تعالى: **{بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ}** [المائدة: ٦٤]، بقوله: "إن المراد باليد: النعمة، وإن كان مرجوحاً ظاهراً لقيام الدليل على أن الله ليس بذي يدٍ؛ وهذا يعتمده من قصر باعه في علم البيان، فتكون اليد مجازاً مرسلاً"، وصرح في موضع آخر: بأنها كناية عن الكرم(٤٦).

وقال: "وأما التفسير فهو إبقاء اليد والبسط على موضوعِهما، ولكن المراد ببسط اليد الكناية عن الجود، بشهادة قولهم كما حكى الله تعالى عنهم -أي اليهود- **{يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ}** [المائدة: ٦٤]، ولا تستلزم الكناية وجود المعنى الأصلي الوصفي الحقيقي، أي: لا تستلزم وجود يدين؛ إذ منعت القرينة العقلية من جواز إرادة ذلك"(٤٧).

ولم يستحسن الجلال تأويل اليدين في هذه الآية بالنعمتين، ورأى أن في ذلك قلقاً لمكان التثنية، وأن تأويل اليد بالنعمة إنما يصلح في مثل قولهم: لفلان عندي يد، أو يدان أو أيادٍ، وعدّ من يعتمد هذا التأويل قصير الباع في علم البيان(٤٨).

(**٤٥**) انظر: المليكي، **الجلال حياته وفكره** ص٢٥٦، نقلاً عن مخطوط منح الألطاف، والروض الناضر.

(٤٦) انظر: الجلال، **فيض الشعاع** ص١٥٦، **نظام الفصول**، ٤٩/١.

(٤٧) انظر: الجلال، **المصدر السابق** ص١٥٦، **ونظام الفصول**، ٦٣/١، ٦٨، ١٥٠/٢.

(٤٨) انظر: **الجلال حياته وفكره** ص٢٥٧.

وحمل صفة اليد في قوله تعالى: {**يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**} [الفتح: ١٠]، على القدرة، وكذلك في قوله تعالى: {**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**} [الزمر: ٦٧]، وقال: "إن الآية في قوة {**مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**}، كما في {**قَبْضَتُهُ**}، إلا أن اليمين لما كانت لشرف الأعمال، وكانت السموات أشرف من الأرض خصّت باسم اليمين، وكل ذلك تصور لعظم القدرة المستلزم لعظم القادر على ما هو دأب الكناية من غير توهم ليمين وشمال، وأنه يصح أن يجعل {**مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**} مجازاً مركباً مستعاراً للاستيلاء"(٤٩).

أما المقبلي: فقد أوّل أيضاً صفة اليدين الواردة في قوله تعالى: {**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**} [المائدة: ٦٤]، فقال: "المراد به مطلق الجود، كما لو استعمل في المخلوق ذي الجارحتين لم يحمله على الحقيقة إلا بُله الناس"(٥٠). وقال أيضاً: إن " {**يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**}: عبارة عن الجود، فإن المراد بها على ذلك مع إرادة مَنْ تجوز عليه الجسمية قطعاً، كيف الباري تعالى؟"(٥١) وقال: "إن ظاهر الآية مُنع منه مانع خاص... فإن ذلك لغةً غلب على معنى الجود في مقام المدح في حق ذي الجارحة فضلاً عمن يجهل الحقيقة"(٥٢).

ويخلص الباحث مما سبق: أن الجلال والمقبلي اتفقا وذهبا إلى تأويل صفة "اليد" بالنعمة والجود، أو بمعنى القدرة، ورفض الجلال أن يُطلق على "اليدين" بالنعمتين، وذلك ابتعاداً عن التثنية، وأن نعم الله لا تحصى.

صفة الساق:

وردت كلمة "ساق" في قوله تعالى: {**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ**} [القلم: ٤٢]، وفي حديث الشفاعة الطويل «يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، فيبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقاً واحداً»(٥٣).

---

(٤٩) انظر **الجلال حياته وفكره** ص٢٥٧، نقلاً عن مخطوطة **منح الألطاف**.

(٥٠) انظر: المقبلي، **العلم الشامخ** ص٩٢.

(٥١) انظر: المقبلي، **الأبحاث المسددة** ص٦٤٧.

(٥٢) انظر: المقبلي: **المنار في المختار من جواهر البحر الزخار**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٨م، ٦٩/١.

(٥٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة، حديث رقم: ٧٤٣٩، و أخرجه مسلم في الإيمان باب معرفة طريق الرؤية، حديث رقم: ١٨٣.

وقد ذهب المقبلي نحوها مذهب التفويض، فقال عند تفسيره لهذه الآية **{يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ}**: "هذا التركيب بمعنى الشدة واضح شائع، وقد وردت أحاديث لا يمكن ردّها، وليست بأكثر من كثير من المتشابه، وفي ردّه إلى علم الله سبحانه راحة وسلامة من التكييف"(٥٤).

ومعنى كلام المقبلي أن الساق في الآية بمعنى الشدة، كما هي عند أهل اللغة وكثير من المفسرين، وأن الأحاديث الواردة فيها "الساق" تكون بمعناها الوارد، حيث فوض معناها إلى الله سبحانه تعالى، لما في ذلك من الراحة والسلامة. ولأن ظاهر القرآن لا يدل على أن هذه من الصفات، لأن الله لم يضفها إلى نفسه تبارك وتعالى، فلم يقل عن ساقه، ولأن كلمة "ساق" جاءت نكرة غير معرفة بالإضافة.

أما العلامة الحسن الجلال فلم أجد له كلاماً.

صفة النور:

وردت هذه الصفة في قوله تعالى: **{اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}** [النور: ٣٥]، وقوله تعالى: **{وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا}** [الزمر: ٦٩]، والنور من أسمائه جل وعلا.

أوَّل الجلال صفة النور، وذهب إلى القول بتقدير مضاف قبل لفظ الجلالة، أي: حكم الله أو أمره نور السموات والأرض؛ ليكون تشبيهاً للحكم الذي هو الحق في النور على ما اشتهر من تشبيه العلم بالنور، والجهل بالظلمة. ورأى أن مما يؤكد ذلك كون قوله تعالى: **{اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}**، استئنافاً مسوقاً لوصف الأحكام الآتية بالسورة لبيانها بتشبيهها بالنور(٥٥).

وفي قوله تعالى: **{وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا}**، اكتفى الجلال بالقول: "إن إضافة النور هنا كإضافة أرض الله، وملك الله، لا تستلزم استعارة المضاف لغير معناه، لأنه مالك النور، كما في قوله تعالى: **{نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ}** [الهمزة: ٦]، فالأولى هو الاكتفاء بالقرينة العقلية المعلومة من كون الله ليس محلاً للأعراض، لأنها إنما تقوم بالأجسام، وهو تعالى ليس بجسم ولا عرض(٥٦).

---

(٥٤) انظر: المقبلي، **الإتحاف لطلبة الكشاف**، مخطوط ق٤٨٥.

(٥٥) **الجلال حياته وفكره** ص٢٦٠.

(٥٦) المصدر السابق ص٢٦٠.

أما المقبلي: فقد عدّها من المتشابه الذي يرد علمه إلى الله عز وجل، فقال عند تفسيره لقوله تعالى: **{وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا}**: "أنه من المتشابه الذي يردّ علمه إلى الله عز وجل، وهو الحق، وإن تأويل النور بالعدل وإن صح؛ فالظاهر خلافهُ لعدم حصول حقيقة النور، وأما إضافته إلى الله تعالى فلا مانع منها، إذ الإضافة لا تنحصر على ملابسة خاصة"(٥٧).

وذكر في موضع آخر بقوله: "... ومثل: رحيم، ونور، وصبور، ولا أحد أغير من الله، ونحو ذلك مما هو من صفات كماله، والظاهر الحقيقة، ومن نفاها فالدعوى كون العارض جزء مدلولها بغير دليل...، والأصل في الاستعمال الحقيقة، وجدنا هذا المعنى الأعم -أي الإطلاق- مراداً بمثل **{نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}** [النور: ٣٥]، فنجمد عليه، على أنه لا يضرنا أو لا يهمنا كونه حقيقة أو مجازاً بعد أن عرفنا ما أريد به هذا التركيب مثلاً أعني مطلق النور لا النور المقيد بالإطلاق، لأنا نحمله على ذلك المتعين ونستريح من تحقيق حقيقته ومجازه، لأنه حصل لنا الإذن بإطلاقه كذلك، لا على جهة الحكاية كما يزعم المعتزلة بل يدور الأمر على المعنى المتعين من دون فرق بين الحقيقة والمجاز، إنما افترقا بكيفية الوضع، وذلك خارج عما نحن فيه"(٥٨).

ونستنتج مما سبق أن الجلال والمقبلي اختلفا في صفة النور، فالجلال ذهب إلى تأويلها، والمقبلي أثبتها في موضع، وفوضها في موضع آخر.

المبحث الثالث: منهجهما في الصفات الإلهية الفعلية

الاستواء والفوقية:

اختلفت الأقوال في هذه المسألة(٥٩)، فقول: يرى تأويل الاستواء بالاستيلاء، وقول: بتفويض معنى الاستواء إلى علم الله تعالى، وقول: بأن الله مستو على عرشه استواءً يليق بجلاله.

---

(٥٧) انظر: المقبلي، **الإتحاف لطلبة الكشاف**، مخطوط ق٣٩١.

(٥٨) انظر: المقبلي، **العلم الشامخ والأرواح النوافخ** ص٩٥، ٩٦.

(٥٩) انظر: أبو الحسن الأشعري: الإبانة في أصول الديانة تحقيق: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، ط١، ١٣٩٧هـ، ص١٠٥-١٠٨، وابن حزم: **الفصل في الملل**، مكتبة الخانجي، القاهرة ٢/٩٦-٩٨، والبغدادي: **أصول الدين**، استانبول،

فالجلال أوّل الاستواء في قوله تعالى: **{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}** [طه: ٥]، إذ ذهب إلى "أن هذه الآية استئنافية بيانية؛ لأنها جواب سؤال نشأ من خلق السموات والأرض المذكور في قوله تعالى: **{تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى}** [طه: ٤]، كأنه قيل: فماذا صنع بعد خلقهما؟ فقيل استوى على العرش، أي: أتم له ملك عالم الملكوت بعد عالم الجبروت، كما بين ذلك بقوله تعالى: **{لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى}** [طه: ٦]"، وذهب في موضع آخر: إلى أن الآية **{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}** مما كَنّى الله تعالى فيه بعلو محله عن علوه وقهره(٦٠).

أما **المقبلي**: فقد ذهب فيها مذهب التفويض حيث قال: "والحق أن يُكتفى بما وصف الله به نفسه إما مطلقاً: كخالق، وعالم، وقادر، وإما مع السكوت: كفوقهم، و**{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}** [طه: ٥]، وخلق آدم على صورته، مع القطع بأن معناها لا ينافي صفات الكمال، بل هي من جملة الممادح، ولا يضرنا تجويز أنها حقائق أو مجازات، لأن الحكم بالحقيقة والمجاز مترتب على عقلية المعنى، وقد قلنا: لا ندري ما معناها؟(٦١). وقال بعد تفسير قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ}** [الحجرات: ١]، "الآية عامة في منع العبد من فعل شيء بغير دليل يدل على الإقدام أو الإحجام من عقل أو كتاب أو سنة... نعم الآية تمنع القطع بتأويل المتشابهات، والتعرض لمعاني الصفات المقدسة على غير المدلول اللغوي، فإن **{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}** لا حاجة إلى تأويله؛ بعد علمنا أن الله سبحانه هو الأول والآخر، ليس كمثله شيء"(٦٢).

وأثبت الفوقية المطلقة، وسكت عن كونها حقيقة أو مجاز، فقال عند قوله تعالى: **{يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ}** [النحل: ٥٠] "فيكفينا هذا الذي دلّ عليه السياق –أعني الفوقية المطلقة– ونسكت عن تكييفها، ذلك لأن التكييف لم يسق له الخطاب، ولا حقيقة

مطبعة الدولة، ط١، ١٩٢٨م، ص١١٢، ١١٣، وابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، تحقيق: أنور الباز، وعامر الجزار، مصر، دار الوفاء، ط٣، ٢٠٠٥م، ٥/٥١، ١٤٣-١٤٩، ٤١٥-٤١٩.

(٦٠) انظر: **الجلال حياته وفكره** ص٢٦٢، نقلاً عن منح الألطاف مخطوط.

(٦١) انظر: المقبلي، **العلم الشامخ والأرواح النوافخ** ص٩٥.

(٦٢) انظر: المقبلي، **الإتحاف لطلبة الكشاف** مخطوط ق٤١٧، ٤١٨.

معلومة لنا، إنما المعلوم لنا ما سبق له الخطاب، لكن ليس لنا حصر المطلق في مقيد مخصوص، بل مطلق الإطلاق أعمّ من النظر والتمحل في الحقيقة والمجاز..."[٦٣].

مما تقدم ذكره يتبين للباحث أن الجلال والمقبلي اختلفا، فالجلال أوّل استوى على العرش، بمعنى أتمّ له ملك عالم الملكوت بعد عالم الجبروت، والمقبلي ذهب في معنى الاستواء مذهب التفويض، ولم يتأول معنى الاستواء، وكذلك أثبت الفوقية المطلقة.

النزول:

بيّن **الجلال** عند ذكر حديث الرسول ﷺ: "**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر**، ..."[٦٤]، أن النزول كناية عن تقرب الله تعالى إلى عبده، ورأى أن ما أُسند من النزول أو الإنزال أو التنزيل بوجه عام إلى الله تعالى يجب حمله على النزول أو الإنزال أو التنزيل المعنوي المشار به إلى علو العظمة لا علو الجهة لئلا تلزم الجهة[٦٥].

أما **المقبلي** فقد سلّم بها إلى علم الله تعالى، وعدّها من المتشابه، فقال: "... وكذلك صفاته تعالى معناها أن له هذا الشأن من الوجود والقدر والعلم، وغير ذلك، وما لم يدل على ما نفهمه دليل فهو من المتشابه، سواء تعلق بالأسماء أم بالأفعال، نحو "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا"، فليس في الدين من لبس إلا من لبس على نفسه، وتبع الوسواس، وتكلف ما لا يعنيه"[٦٦]. وأن "التأويل لا يسوغ إلا لملجئ، ولا ملجئ إلا تحصيل مطلوب، ولا مطلوب في المتشابهات إلا التسليم، لورودها عن الحكيم"[٦٧].

---

(٦٣) انظر: المقبلي، **العلم الشامخ والأرواح النوافخ** ص٩٤.

(٦٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: يريدون أن يبدلوا كلام الله، حديث رقم (٧٤٩٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، حديث رقم (٧٥٨).

(٦٥) المليكي **الجلال حياته وفكره** ص٢٦٢. نقلاً عن منح الألطاف وبلاغ النهى للجلال.

(٦٦) انظر: المقبلي، **الأبحاث المسددة في مسائل متعددة** ص٦٤٨.

(٦٧) انظر: المقبلي، **العلم الشامخ والأرواح النوافخ**ص٣٩٤.

وتبين للباحث مما سبق أن الجلال والمقبلي اختلفا في صفة النزول، فالجلال أوّل نزول الله تعالى بتقربه تعالى من عبده، والمقبلي ذهب فيها مذهب التفويض، وسلّم بها إلى علم الله، وأنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله.

المجيء والقرب:

قال **الجلال** في المجيء الوارد في قوله تعالى: **{وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً}** [الفجر: ٢٢]، "أنه مجاز قرينته عقلية، وعلل ذلك باستحالة مجيء الرب تعالى، لأن المجيء هو الانتقال من حيز إلى حيز، ولا يجوز ذلك عليه سبحانه وتعالى، فدل العقل على الحذف وعلى تعيين المحذوف والتقدير: وجاء أمر ربك، أو نحوه"، وذهب إلى تأويل آخر حيث حمل المجيء المذكور في الآية: "على انكشاف حجاب القلوب عن معرفته تعالى؛ لأن المحجوب عن الشيء غائب عنه، فشبه حضوره في القلوب التي كانت غافلة عنه بالمجيء إليها"[٦٨].

وذكر الجلال أن القرب الوارد في قوله تعالى: **{وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}** [ق: ١٦]، أنه مجاز، وفي قوله تعالى: **{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}** [البقرة: ١٨٦]، نص على أنه كناية كما يستلزمه قرب المدعو من سرعة الإجابة للداعي، والكناية لا تستلزم وجود المعنى الأصلي[٦٩].

أما **المقبلي**: فهو كمنهجه في معظم الصفات يفوض معناها ويرد علم ذلك إلى الله تعالى، فذكر أن الزمخشري قال عند تفسير قوله تعالى: **{وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}** "أن معنى قرب الله تعالى المراد به علمه"[٧٠]، فقال المقبلي معقباً على الزمخشري: "لسنا ممن يجزم بالتأويلات ويعنيها، ولكنا نؤمن به لأنه من عند ربنا، وعلمنا معناه جملة حسبما بلغته أفهامنا، ووكلنا التفصيل إلى الله تعالى كنظائره كقوله تعالى: **{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ}** [الحديد: ٤]، وقوله تعالى: **{مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا**

(٦٨) انظر: **الجلال حياته وفكره** ص٢٦٣، نقلاً عن مخطوط نظام الفصول، ومخطوط منح الألطاف.

(٦٩) انظر: **الجلال حياته وفكره** ص٢٦٣، نقلاً عن مخطوط منح الألطاف.

(٧٠) انظر: الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ، ٣٨٢/٤، ٣٨٣.

خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا} [المجادلة: ٧]"[٧١].

وبهذا يتبين للباحث أن الجلال والمقبلي اختلفا، حيث ذهب الجلال أن المجيء الوارد في قوله تعالى: **{وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً}** [الفجر: ٢٢] مجاز، لأن المجيء هو الانتقال من حيز إلى حيز، وكذلك في قوله تعالى: **{وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}** أنه مجاز، والمقبلي: ذهب في صفة المجيء مذهب التفويض، ووكّل تفصيل ذلك إلى علم الله، وهو بذلك لم يتأول بل آمن بها كما وردت.

المحبة:

وردت في مواضع كثيرة في القرآن والسنة، فمن القرآن قول الله تعالى: **{إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}** [البقرة:١٩٥]، وقوله: **{إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}** [البقرة:٢٢٢] وقوله: **{إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}** [التوبة:٤]، وغيرها. ومن السنة قول الرسول ﷺ: في حديث الولي: (... وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، ...الحديث[٧٢].

والجلال ذكر أن معنى المحبة هو ميل النفس إلى مُستحسن عندها، وذهب إلى أنها إن كانت من العبد فعلى حقيقتها، وإن كانت من الله تعالى فلا مندوحة عن تأويلها بما يليق بجلاله سبحانه وتعالى. وبكلامه هذا لم يبين الوجه الذي ينبغي تأويلها عليه، فاكتفى بهذا الإجمال[٧٣].

أما **المقبلي** فهو يرى أنها على حقيقتها، ولا تكيف كسائر الصفات، فقال عند قوله تعالى: **{إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}** [البقرة:٢٢٢] أن الزمخشري: "فسّرها في الكشاف بأن يرضى عنهم، ويفعل ما يفعل المحب، والرضا عنده أيضاً مفسر

(٧١) انظر: المقبلي، **الإتحاف لطلبة الكشاف** مخطوط ق٤٤٨.

(٧٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب التواضع، حديث رقم ٦٥٠٢.

(٧٣) انظر: **الجلال حياته وفكره** ص٢٦٠، نقلاً عن حاشية شرح القلائد مخطوط.

بالإرادة أي: يريد نفعهم، والحاصل أنه فسرها بنتائج المحبة والأفعال التي تقع عندها، وهذا بناءً على نظرهم في ماهيات الصفات وحكمهم بالمجاز على أكثرها، والحق أن المحبة على حقيقتها، ولا نكيفها كسائر الصفات، ولم يدل دليل على منع الحقيقة، وكذلك محبتنا له سبحانه يفسرونها بالطاعة، ولا مانع من الحقيقة، وهي هنا وجدانية، فمنعها مكابرة؛ اللهم إنا نسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يقربني إلى حبك...[٧٤].

وقال عند قوله تعالى: **{وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ}** [البروج: ١٤]: "معنى الودود في اللغة معلوم وهو المحبة، فالواجب حمل الصفات الربانية على حقائق الألفاظ، والذين تكلّفوا النظر في ماهيات الصفات نفوها في آخر أمرهم"[٧٥].

تبين للباحث من خلال أقوال الجلال والمقبلي أنهما اختلفا في صفة المحبة، فالجلال يرى تأويلها بما يليق بجلاله سبحانه وتعالى، والمقبلي رأى أنها على حقيقتها، لأنه لم يدل دليل على المنع من إيراد الحقيقة، وليست مجازاً، وأنها لا تكيّف والواجب حملها على الحقيقة.

الرحمة:

وردت في نصوص كثيرة من الكتاب والسنة، وهي أكثر من أن تحصى، ومن أسماء الله تعالى الحسنى الرحمن الرحيم كما في قوله تعالى: **{لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}** [البقرة: ١٦٣]، وهما مشتقان من الرحمة.

وقد أكّد **الجلال** أن وصف الله تعالى بالرحمة حقيقة، و"أن الرحمن مشتق، والمشتق موضوع لذات باعتبار معنى، ولم يشترطوا –أي الجمهور– في المعنى، كونه حقيقياً"[٧٦].

ثم أولها بأنها كناية عن إحسانه سبحانه وتعالى، لأن الإحسان لازم للرحمة...، وأن الكناية المراد بها الحقيقة التي هي الملزوم، لينتقل منها إلى اللازم وإن لم يكن للملزوم وجود في بعض الكنايات[٧٧]، فقال في معنى الرحمة: "...التي هي العرض القلبي، وأما استعماله في

(٧٤) انظر: المقبلي، **الأبحاث المسددة في مسائل متعددة** ص١٦٢، ١٦٣، **والإتحاف لطلبة الكشاف** مخطوط ق١٨٤.

(٧٥) انظر: المقبلي، **الإتحاف لطلبة الكشاف** مخطوط ق٥١٦.

(٧٦) انظر: الجلال، **نظام الفصول**، ٧٦/١.

(٧٧) انظر: **الجلال حياته وفكره** ص٢٥٩، نقلاً عن مخطوط منح الألطاف.

الله تعالى فتسمية للشيء –الذي هو الرفق بالعبد– باسم سببه، الذي هو رقة القلب، لأن الرقة سبب للرفق"[٧٨].

أما **المقبلي** فقد أثبتها كصفة حقيقة لله تعالى على ظاهرها، وأنها صفة كمال، وأن الله امتدح بها نفسه كثيراً في كتابه، وأورد أحاديث كثيرة تدل على رحمة الله وسعتها[٧٩]. فبين أن "رحيم، ونور، وصبور، ولا أحد أغير من الله، ونحو ذلك مما هو من صفات كماله، والظاهر الحقيقة، ومن نفاها فالدعوى كون العارض جزء مدلولها بغير دليل"[٨٠]. وهذا هو منهجه في سائر الصفات.

وانتقد المتكلمين على نفيهم لها وجعلها مجازاً، فقال: "...ونفوا سائر الصفات وجعلوها مجازات كصفة الرضا، والغضب، والمحبة، والرحمة، والحلم، وغير ذلك مما وصف به تعالى نفسه، وكرر التمدح به، ومما صح عن رسول الله ﷺ"[٨١]، ويقول: "وكذلك جعل جماعة لكثير من الأسماء كرحيم وكرحمن مجازاً تعطيل لمعنى الرحمة"[٨٢].

مما سبق يخلص الباحث إلى أن الجلال والمقبلي اتفقا بأن الرحمة صفة لله تعالى حقيقة، إلا أن الجلال بيّن في قول آخر له: أنها كناية عن إحسان الله تعالى، وأنها رقة في القلب، وبين أن الكناية المراد بها الحقيقة، وعلى العموم فقد اتفقا على أنها صفة، وأن الله امتدح بها نفسه كثيراً في كتابه الكريم، ووردت أحاديث كثيرة تدل على أنها صفة لله تعالى.

الخاتمة

توصّل البحث إلى أهم النتائج في منهج الجلال والمقبلي في الصفات الإلهية، على النحو الآتي:

– أثبت الجلال والمقبلي الصفات الإلهية جملةً، وبيّنا أن نفي مطلق الصفات كفر، لأن نفي مطلقها ردّ لآيات قرآنية، خلافاً لنفي كيفيتها. ومنع الجلال قياس ذات الله تعالى أو

(٧٨) انظر: الجلال، **نظام الفصول**، ٧٦/١

(٧٩) انظر: المقبلي، **العلم الشامخ والأرواح النوافخ** ص٦٥، ٦٦.

(٨٠) انظر: المقبلي، المصدر السابق ص٩٥.

(٨١) انظر: المقبلي، المصدر نفسه ص٨٥.

(٨٢) انظر: المقبلي، **الإتحاف لطلبة الكشاف** مخطوط ق١٦٠.

صفاته على ذات غيره، أو صفات غيره، لعدم استقلال العقل بإدراك عللها، وأن صفات العبد نقيض صفات الرب، وبين المقبلي أن نفي الصفات لا يقول به مسلم.

- حث الجلال على تأويل كثير من الصفات الإلهية التي توهم التشبيه والتجسيم أو نحوها، سواء كانت صفات ذاتية أو فعلية، فلذا نجده يؤول كثيراً من الصفات.
- بيّن المقبلي أن مذهبه فيها هو مذهب السلف الصالح، وأنه يجب حمل الصفات الإلهية على حقائق الألفاظ دون النظر في ماهيتها، حيث سلك تجاهها ثلاثة مذاهب: الإثبات، والتفويض، والتأويل.
- اتفق الجلال والمقبلي في إثبات صفة العلم والقدرة، وصفة الكلام، وصفة الرحمة، إلا أن الجلال أوّلها في قول آخر. واتفقا في تأويل صفة اليد، واختلفا في بقية الصفات، فأوّل الجلال بعض الصفات الإلهية: أوّل صفة الوجه، واليد، وصفة النور، والاستواء، والنزول، والمجيء، والمحبة. وكذلك المقبلي أثبت صفة المحبة، وذهب مذهب التفويض في صفة الساق، وصفة النور، والاستواء، والنزول، والمجيء.

المصادر والمراجع

ابن تيمية: عبد الحليم: مجموع الفتاوى، تحقيق: أنور الباز، وعامر الجزار، مصر، دار الوفاء، ط٣، ٢٠٠٥م.

ابن حزم الظاهري: علي بن أحمد: الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة.

ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٩م.

ابن منظور: لسان العرب، مادة وصف، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

أبو الحسن الأشعري، علي بن إسماعيل: الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، ط١، ١٣٩٧هـ.

البغدادي: عبد القاهر بن طاهر بن محمد أبو منصور: أصول الدين، استانبول، مطبعة الدولة، ط١، ١٣٤٦هـ- ١٩٢٨م.

الجرجاني: علي بن محمد: التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

الجلال: الحسن بن أحمد: العصمة من الضلال: نشر ضمن النصوص المحققة للعمري والجرافي في كتاب العلامة الحسن الجلال حياته وآثاره – دراسة نصوص محققة، بيروت ودمشق، دار الفكر، ط١، ٢٠٠٠م.

الجلال: فيض الشعاع، الكاشف للقناع عن أركان الابتداع: تحقيق الدكتور حسين العمري، نشر ضمن كتاب العلامة الحسن الجلال حياته وآثاره — دراسة نصوص محققة.

الجلال: نظام الفصول شرح الفصول اللؤلؤية: تحقيق: أحمد علي نور الدين، صنعاء، مركز التراث والبحوث اليمني.

الجويني: أبو المعالي إمام الحرمين الجويني: الشامل في أصول الدين، حققه وقدمه د.علي سامي النشار وآخرون، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٦٩م.

الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

محمد بن خليفة بن علي التميمي: الصفات الإلهية، الرياض، أضواء السلف، ط١، ٢٠٠٢م.

المقبلي: صالح بن المهدي: الإتحاف لطلبة الكشاف، مخطوط، بخط يحيى بن رزق بن أحمد السنهاري، ١٣٧٧هـ، المكتبة الشرقية رقم ٩٨/١ تفسير، الجامع الكبير بصنعاء.

المقبلي: الأبحاث المسددة في فنون متعددة: عناية الوليد عبد الرحمن الربيعي، صنعاء، مكتبة الجيل الجديد، ط١، ٢٠٠٧م.

المقبلي: العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ، بيروت، دار الحديث للطباعة والنشر، ط٢، ١٤٠٥هـ.

المقبلي: المنار في المختار من جواهر البحر الزخار، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٨م.

المقبلي: نجاح الطالب لمختصر المنتهى لابن الحاجب، تحقيق: محمد صبحي الحلاق، مصر، دار البدر، ط١، ٢٠٠٩م.

المليكي: أحمد عبد العزيز، الحسن الجلال حياته وفكره، ط١ من إصدارات جامعة صنعاء ٢٠٠٥م.

المليكي: الشيخ صالح المقبلي حياته وفكرة، ط١ من إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ٢٠٠٤م.

المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، بيروت، دمشق، دار الفكر، ط١، ١٤١٠هـ.

النووي: أبو زكريا يحي بن شرف بن مري: شرح النووي على صحيح مسلم ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.